رضينا يا رسول الله

أقام رسول الله ﷺ في قباء عدة أيام ، ولما أراد أن يتحوّل إلىٰ المدينة ، تحوّل معه المهاجرون ، فتنافس الأنصار في إكرامهم واستقبالهم وحُسن منزلهم ، حتىٰ اقترعوا عليهم بالأسهم ، فما نزل أحدٌ من المهاجرين علىٰ أحدٍ من الأنصار إلاّ بقرعة .

وتصرّف المهاجرون في دور الأنصار وأموالهم ، وبذل الأنصار ما وسعهم الجهد إكراماً لإخوانهم المهاجرين .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال المهاجرون : يا رسول الله! ما رأينا مثل قومٍ قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المَهْنَأ ، حتىٰ لقد خشينا أن يذهب الأنصار بالأجر كله .

فقال رسول الله ﷺ : «لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم» .

ثم قال للأنصار : «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» .

فقالوا : إن أموالنا بيننا قطائع .

فقال الرسول ﷺ : «أو غير ذلك؟» .

قالوا : وما ذاك يا رسول الله؟

قال : «هم قومٌ لا يعرفون العمل ـ أي : لا يعلمون العمل في الزراعة ـ فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر؟» .

قالوا : نعم .

ولما غنم رسول الله ﷺ أموال بني النضير ، أراد أن يخفّف عن الأنصار ، فبعث ثابت بن قيس فدعا الأنصار كلهم ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وذكر الأنصار، وما صنعوا بالمهاجرين، وإنزالهم إياهم في منازلهم، وإيثارهم علىٰ أنفسهم.

ثم قال للأنصار: «إن أحببتم قسمتُ بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من أموال بني النضير ، وكان المهاجرون علىٰ ما هم عليه من السّكنىٰ في مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم».

فقام سعد بن معاذ وسعد بن عبادة سيّدا الأوس والخزرج ، وقالا: بل تقسمه للمهاجرين وحدهم ، ويكونون في دورنا كما كانوا.

ونادت الأنصار: رضينا وسلّمنا يا رسول الله.

فقال صلوات الله عليه: «اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار». وقسَمَ الأموال في المهاجرين وحدهم ، إلاّ رجلين من الأنصار كانا محتاجين ، فأعطاهما رسول الله ﷺ[1].

أجل يا رسول الله!

لقد تآلف الأنصار والمهاجرون علىٰ محبتك والتضحيات من أجلك ، فهنيئاً لهم ذلك.

أنتم قضيتم للنبيّ ذِمامه ... ونصرتم الحقّ الذي لا يُخذلُ
وصنعتمُ الصُّنع الجميل كرامةً ... لمهاجرين هم الفريق الأمثلُ
فعرفت موضع كم، وكيف سما بكم ... مجدٌ لكم في المسلمين مؤثّلُ[2]
القوم قوم الله ملء دياركم ... وكأنهم بديارهم لم يرحلوا

* * *

(١) يراجع: صحيح البخاري: ٥/ ٨٥ ، سيرة ابن كثير: ٢/ ٣٢٩.

(٢) المجد المؤثل: العالي.